السلفية في جيبوتي.. الواقع وآفاق المستقبل (الجزء الثالث)

التقرير الأسبوعي

الرقم: 52

إعداد: الكاتب والباحث / عبد الله الفاتح

تاريخ الإصدار: السبت 28 اكتوبر 2018

نبذة عن المؤسسة

الصومال الجديد مؤسسة أهلية غير ربحية تعمل في مجال الإعلام والبحوث والدراسات والتنمية البشرية، وتأسست المؤسسة على يد مثقفين وكوادر مهنيين صوماليين في العاشر من شهر مايو عام 2015، ويقع مقرها الرئيسي في العاصمة الصومالية مقديشو.

تناولت الحلقة السابقة (الجزؤ الثاني من التقرير) مفهوم السلفية لغة واصطلاحا ودلالاتها ومواقف المنظرين للفكر السلفي والمعارضين له. وتسلط هذه الحلقة، وهي الجزؤ الثالث من التقرير على رؤية الكتاب والباحثين في الغرب تجاه الفكر السلفي

السلفية في المنظور الغربي:

لم يعد الاهتمام بمسألة "السلفية" يقتصـر على الأوساط الدينية والفكرية في العالم العربي والإسـلامي فحسب، بل نالت حظاً وافـراً من الاهتمام السياسي والإعلامي من مختلف المؤسسات الدولية والغربية على وجـه الخصوص.

فهناك كم هائل من الكتابات الغربية التي تناولت السلفية كظاهرة فكرية ودينية جديدة، وأفردت لها مساحات واسعة في الصحف والمجلات المحكمة والدراسات، كما عُقدت مؤتمرات عديدة لبحث موضوع السلفية ومناقشته، قُدّمت فيها كثير من أوراق عمل، تناولت المسألة السلفية من وجهة النظر الغربية(1).

ومن الملاحظ أن الكتابات والدراسات الغربية تعرضت لموضوع السلفية، تكاد تكون في جوهرها متشابهة، كما أن معظم ما احتوته تلك الدراسات تصل إلى درجة التطابق، في أغلب الأحيان، لا سيما في تحديد مفهوم السلفية ودلالاتها وربطها بالوهابيـة وكذلك علاقاتها بالعنف والتطرف والإرهاب.

والربط بين السلفية والوهابية، يشكل القاسم المشترك بين معظم الدراسات الغربية، وهو أمر ظاهر لا تخطئه عين القارئ، على الرغم من اعتراف بعض الكتاب بأن هناك غموضاً في

---

[1] أ. د. محمد بن سعود البشر، السعودية السلفية في الكتابات الغربية، مركز الفكر العالمي عن السعودية، الرياض، ط 1، 2012م، ص 12.

تفسير ظاهرة السلفية ودلالاتها وفهمها، واختلاف الجماعات والتيارات التي تنطوي تحت مسمياتها.

وبالتأكيـد يتعذر حصر كل هذا الكم الهائل من الكتابات والبحوث والدراسات الغربية واستعرضها في هذه السطور، ولذا نلقي الضوء على بعض الجوانب من الموضوع، نجملها في النقاط التاليـة:

يعتقد كثير من الكتاب الغربيين في تفسيرهم لمفهوم السلفية ودلالاتها، بأن ثمة فرقا كبيرا بين السلفية الوهابية والمذهب السني السائد في العالم الإســلامي، وهنا يقول أحد الكتاب: "الفرق الكبير بين السنة والوهابية يتمثل في المعتقدات والطقوس "الدينية"، ومن جهة أخرى يشكل السنة الأغلبية بنسبة تقريبية تصل إلى 90% من المسلمين في جميع أنحاء العالم حيث ينتمون إلى المذهب السني، في حين يتركز أعضاء الحركة الوهابية في المملكة العربية السعودية".

وكما يوحي هذا النص، فإن الكاتب يرى أن الوهابية هي دين جديد مختلف كلياً عن المذهب السني السائد في العالم الإســلامي، وأنها حركة لا يوجد إلا في المملكة العربية السعودية(1).

وبدوره يرى كوينتان ويكتورويكز(2): أن الفرق بين الوهابية والسنة يكمن، فيما سماه "الغموض في تفسير الدين عند الوهابيين، وقد سلط الضوء على هذه الجزئية، من خلال بحثه المسمى: تشريح الحركة السلفية (Anatomy of Salafi Movement) فقال: "نظراً للغموض الذي يكتنف ترجمة آيات القرآن عمليـاً، وبالأخص في الأمور المستجدة في العالم المعاصر، فإن

---

[1] نفس المرجع، ص 14.

[2] هو أستاذ في قسم الدراسات الدولية في كلية رودس بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو مهتم بدراسة الإسلام السياسي، وله عدة مصنفات ومطبوعات في ذلك.

الأحاديث النبوية أصبحت أمراً مهماً للتوجيه والإرشاد، حتى أنها باتت أكثر أهمية عند السلفيين من القرآن نفسه، ولهذا السبب يُطلق بعض السلفيين أنفسهم اسم "أهل الحديث"(1).

وبالرغم من اطلاعه الوسع واهتمامه الكبيرة بدراسة موضـوع حركات الإسـلام السياسي، إلا أن ويكتورويكز – كحال كثير من الكتاب الغربيين – لم يسلم من إشكالية العجز في فهم المصطلحات والمفاهيم الإسـلامية، وهذا ما يبدو جلياً في هـذه الفقرة أعلاه، إذ نلاحظ أن هناك خلط واضح يمكن إيجازها في التالي:

أولاً: لا ندري من أين أتى الكاتب بهذا الاستنتاج الغربية بأن السنة النبوية باتت أكثر أهمية عند السلفيين من القرآن نفسـه، كما تجاهل أن الأحاديث

ثانيـاً: إن السنة النبوية تعد أهم مصدر من مصادر تفسير القرآن الكريم وهي مبينة لمتشابهه ومفصلة لمجملاته، على اعتبـارها وحي من الله عز وجـل؛ كما قال الرسول (ﷺ): "ألا إني أتيت القرآن ومثـله معه"(2) وما كان ينبغي أن يخفى على الكاتب، أمر بديهي كهذا.

ثالثاً: إن مصطلح "أهل الحديث" ليس مصطلحاً جديداً يرتبط بالفكر السلفي المعاصر، بل هو مصطلح قديم أُطلق عليه إحدى المدارس السنية الإسلامية التي تميزت بالاهتمام بالحـديث النبوي التي تبلورت ملامحها منذ صـدر الإسـلام على يد أئمة الحديث وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبـل.

وفي سيـاق الربط بين السلفية والوهابية، كتب ألكسندر فاسيليف مقالاً بعنوان: السلفية: النظرية والتطبيق (Salafism: Theory and Practice) جاء فيـه: " إن عقيدة الوهابية هي الاسم

---

[1] http://www.globalsecurity.org/military/world/gulf/wahabi.htm. Accessed on: 22011/8/.

[2] محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع، حديث رقم (2643).

الثاني للسلفية، وهي تأسست في العالم الإســلامي عن طريق السيخ محمد بن عبد الوهاب، وقامت على أساس كتابات عالم الكلام الشيخ ابن تيميــة في القرن الرابع عشــر"(1).

أما الدكتور هيليل فرادكن – مدير مركز الإسلام والديمقراطية بمعهد هدسون في واشنطن – فقد كتب بحثاً بعنوان: التاريخ والمستقبل غير المكتوب للسلفية (The History and Unwritten Future of Salafism) جاء فيه: "بعد 11 سبتمبر أصبحت القاعدة كلمة شائعة الاستعمال وهي اسم للمنظمات الجهادية الإرهابية.. والأمريكيون باتوا على إطــلاع بمصطلح الوهابية، وهو الاسم الذي أُطلق على شكل محدد وصارم للإسلام الذي تأسس في السعودية، والسبب الرئيسي لمعرفة الأمريكيين هذا المصطلح هو ما نتج عن أحداث 11 سبتمبر، خاصة وأن الغالبية العظمى من إرهابي هجمات سبتمبر كانوا سعوديين، كما أن السعوديين قاموا بجهود كبيرة لنشر نموذجهم الإسلامي الوهابي والترويج له في مختلف أنحاء العالم بما في ذلك الغرب"(2).

تريفور ستانلي: فقد استهل بمقاله الذي جاء بعنــوان: فهم أصول الوهابية والسلفية (Understanding the Origins of Wahhabism and Salafism) بالعبارة التالية: " إن ظاهرة الإرهاب الإســلامي لا يمكن شرحها بصورة ملائمة مثلما هو الحال في تصدير الوهابية السعودية، كما يرى معظم المعلقين"(3).

---

[1] http://www.watchdog.com/salafism.htm

[2] http://www.hudson.org/index.cfm?fuseaction=publication_details&id=5509

[3] http://www.freerepublic.com/focus/f-news/1716986/posts.

وفي هذا السياق كتب الصحفيان ديفيد فان بيما وبروس كروملي، في تقرير شامل اختـارا له عنواناً أكثر حدة: "الوهابية: العقيدة السامِّة" وجاء فيه ما يلي: "النسخة الوهابية من الإســلام الذي تخيله محمد بن عبد الوهاب، هي الآن الدين الرسمي في المملكة العربية السعودية، وأن الكثيرون ينظرون إلى الوهابية بنظرة سوداوية، فهي عقيدة سامة مرادفة للإرهاب".

وقد استند الصحفيـان على صدق مقولتهما بما أورده الصحفي الأمريكي ستيفن شوارنز؛ في كتابه المسمى: الإسلام في السعودية (Islam in Saudi Arabia) عندما قال: " إذا كانت الوهابية هي العقيدة الرسمية فإن ذلك يُنتجّ دولة إرهابيـة"(1).

ويرى معظم الكتاب الغربيين أن الإسلام السلفي تفسير متعصب يشدد على الالتزام بمبادئه الأساسية وأن غالبية المتورطين بالإرهاب هم من الملتزمين بهذا المذهب، وأن السلفيين يمكن أن يقعوا بسهولة في أعمال العنف.

وهكذا ارتبط السلفية – في المنظور الغربي – بالوهابية السعودية التي باتت اسم يرادف التطرف و"الأصولية" هي من المسميات التي تُطلق عليها الكثير من وسائل الإعلام الدولية لا سيما الغربية، وهي ترجمة للمصطلح الإنجليزي (Fundamentalism) ويعرفها "قاموس المورد" على أنها مذهب العصمة، وهي حركة دينية متشددة عرفتها "البروتستانتية" في مطلع القرن الماضي، تؤمن بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، والمقتنعة بأنه يتضمن توجيهات لمجمل مناحي الحياة.

وبهــذا يرى العديد من الكتاب والباحثين، لوجود قواسم مشتركة عديدة بين الحركة "البروتستانتية" المذكورة، والدعوة السلفية المعاصرة، مما يجعل مفهوم هذا المصطلح ينطبق على هذه الأخيرة.

---

[1] أ. د. محمد بن سعود البشر، المرجع السابق، ص 30– 31.

بينما يرى الآخرون، أن ثمة فروقا واضحة بين تلك الحركة "الأصولية" والدعوة السلفية، وأن هذا المصطلح قد أطلق عليها، في محاولة من الغرب لربط الأخيرة بالأصولية المسيحية بكل سلبياتها التي رسبتها في الضمير الأمريكي بصفة خاصة، والغربي المسيحي بصورة عامة.

وفي خــلاصة القول فإن هذه الجزئية، لا تمنع بوجود بعض القواسم المشتركة بين الأصولية المسيحية وبعض التيارات السلفية، ومن أبرزهــا الآتي:

1) الجمود الفكري: أي رفض التكيف، والمعارضة لكل نمو وتطور، ومعاداة الحضارة خيرها وشرها.
2) العودة إلى الماضي، من انتساب إلى التراث، والمحافظة عليها.
3) عدم التسامح، والانغلاق، والتحجر المذهبي، وما يستتبعه من تصلب وعناد وتعصب (1).

[1] الموسعة الميسرة، نقلاً عن: أحمد محمود كريمة، السلفية بين الأصيل والدخيل، ص 5 – 6.